ومغزى هذا الاهداء بالذات يكشف لنا بوضوح عن تلك البذور الوطنية التي اشرت الى زرعها في روح الشاعر الرومانتيكية. وهو لا يكتفي بذلك فحسب، وانما نراه يتبع هذا الاهداء بصورة للمسجد الأقصى المبارك بما فيه من رمز ودلالة على فلسطين ورسوخ العروبة والاسلام فيها، ومجابهة الاطماع الصهيونية والمخططات الاستعمارية. ويزيد موقفه جلاء في ما يعلنه من هدف هذا الديوان في طبيعة بلاده، بقوله: «انني اكشف الاستار عن بهائك وجلالك، واصف ما فيك من فتنة وروعة، لأشعل في قلوب شبابك الغض نار حبك، وافتح عيون أبنائك الصيد على نور جمالك»[١٥]، فهو لا يصف هذه الطبيعة لمجرد الوصف، وانما نراه يسخر كل طاقاته لاستغلال كل المؤثرات في تنبيه المشاعر وتفتيح النفوس على جمال الوطن، لتعميق الشعور بالانتماء اليه والتعلق به. ومن هنا كان رأينا في ما أشرت إليه من صلابة وتماسك ووطنية في روحه الرومانتيكية، ومن الغنائية المتأججة التي نظم بها عقود هذا الديوان، ديوان الجمال والسحر والفتون، كما وصفه في كلمة الافتتاح[١٦]، وفي كل دواوينه الأخرى. ففيه التقى الشاعر مع الطبيعة الفلسطينية الجميلة «في زوارق الاحلام، ومواكب الأماني، وعلى أجنحة الخيال... تحت ظلال القمر، وبين أحضان الزهر، وفي شباب الربيع، وربيع الشباب».

«عند مسارب الجداول اللاهية، وعلى أغاني الطيور الشادية، وفي أفياء الغصون الحانية»[١٧]. فأحال هذه الطبيعة الجميلة إلى أغنيات رقيقة هانئة، حيث ظل هو فيها كفراشة وادعة «مزوّقة» تطير بين الأزهار والورود والربيع، او كنحلة لطيفة تدندن في تحويم دائم تستدر رحيق الزهور. وخلق في هذا الديوان اجواء شاعرية غناء بما بثه فيها من أنغام وألحان ترقص الوجود، فينقلنا نوا، بموسيقاه الهادئة المزركشة، الى أجواء اندلسية مفعمة بالرضا والحب وغضارة العيش.

إن المرء لا يكاد يصدق أن هذه الأجواء هي من خلق ذلك الصبي الذي كان منكودا في مطالع صباه. ولكن هل تستطيع العاصفة يا ترى، مهما اشتدت وقست، ان تخرج الفراشة عن طبيعتها الفراشية الرقيقة الناعمة الوادعة؟! هذا هو شاعرنا، نفحة موسيقية الهية، تجسدت في ذلك الصبي المشرد، حسن البحيري. فهل كانت اقداره التعسة قادرة على تغيير طبعه وطمس مواهبه، وتحطيم هذه القيثارة الربانية؟!

اذا صدق قول احد الشعراء الانكليز امام مقبرة احدى القرى «لكم اخفيت ايتها المقبرة كثيرا من المواهب والعبقريات دون ان تتفتح»، فان في إزهار مواهب حسن البحيري تحت سطوة النوائب التي اجتاحته مذ كان طفلا غريرا، دليلا على ألق العبقرية، ونموذجا على القدرة الانسانية الهائلة على التحدي وتحقيق الانتصار بالحس المرهف والابداع الفني الاصيل؛ هذه القدرة التي تظل تعلن عن نفسها بمحض وجودها الموار في النفس، خلقا الهيا، وابداعا ربانيا... او ليس حسن البحيري هو نفسه الذي يقول في «افراح الربيع»:

لئن يوما حدا بكمو حنين ... لسكان القبور الدارسات
وأوقفكم على قبري اعتبار ... او استعبار عين الذكريات
فناجوني بناي أو كمانٍ ... لتسعد في حفائرها رفاتي[١٨]

واذا كان الشاعر قد أشار الى أنّ بعض قصائده لحنها وغناها بعضهم، فان جل